الجوهر الحواري في رواية "سفاية الموسم لمحمد مفلاح

Dialogical Essence In the Novel “Sifayat El-mawssim” by Mohammad Meflah

دوالي بلخير *

تاريخ الإرسال: 2023/12/31	تاريخ القبول: 2026/04/01	تاريخ النشر: 2026/06/10

الملخص:

تهدف هذه الدراسة قدر الإمكان إلى كشف شعرية رواية "سفاية الموسم" لمحمد مفلاح وفق الإسهامات التي قدمتها رؤية باختين الحوارية التجاوز لفكرة النظر إلى اللغة الروائية باعتبارها ظاهرة لسانية بمعزل عن سياقاتها الاجتماعية وخلفياتها الأيديولوجية، استثمارا في ذلك لطبيعة الخلق الفني الذي تؤسسه المنظومة الحوارية الباختينية التي تقوم على ثلاثية التهجين والأسلبة اللغوية والحوارات الخالصة. بما تضمره هذه الثلاثية الفنية من استراتيجيات لغوية لها دورها في تأسيس حوارية الخطابات الروائية، وعليه فهذه الدراسة محاولة لقراءة الجوهر الشعري للغة الرواية وفق المنظور الباختيني الذي يعاين اللغة الأدبية في صلتها بطابعها الاجتماعي الأمر الذي يسمح بربط العملية التواصلية بين المتكلمين في المسارات السردية بالبنى الاجتماعية المعبرة عنهم استنادا إلى طبيعة لغاتهم الخاصة.

الكلمات المفتاحية: اللغة الروائية؛ رؤية باختين، جماليات، سفاية الموسم، النظام الحواري.

Abstract:

This study aims, to the best of its ability, to reveal the poetic essence of the novel "Sifayat El-mawssim" by Muhammad Muflah. It aligns with the contributions made by Bakhtin's dialogic vision, seeking to surpass the idea of regarding novelistic language as a linguistic phenomenon isolated from

*جامعة يحي فارس بالمدية، douali.belkheir@univ-medea.dz

its social contexts and ideological backgrounds. Instead, it invests in the nature of artistic creation established by the Bakhtinian dialogic system, based on the trilogy of hybridity, linguistic stylistics, and pure dialogues.

The linguistic strategies within this artistic trilogy play a role in establishing the dialogue of narrative discourses. Thus, this study represents an attempt to read the poetic essence of the novel's language through the Bakhtinian perspective, examining literary language in its connection to its social character. This allows for the linkage of the communicative process among speakers in narrative paths to the expressive social structures based on the nature of their own languages.

key words: *Novelistic Language , Bakhtinian Vision , Poetics , Sifayat El-mawssim , Dialogic System*

*** *** ***

المؤلف المرسل: دوالي بلخير، douali.belkheir@univ-medea.dz

1. مقدمة:

امتلك الخطاب الروائي لرواية "سفاية الموسم" (الدروب المتقاطعة) للروائي الجزائري محمد مفلاح استراتيجية خطابية متميزة جوهرها الأساس الوصف الإبداعي للمنظومة الاجتماعية والسياسية والثقافية الجزائرية المعتلة، حيث جاء خطابه الروائي محاولة سردية

استثمارا لطبية القراءة الحوارية التي تبناها ميخائيل باختين والتي عبر عنها بشكل خاص في كتابه (الخطاب الروائي)، سنحاول في هذه القراءة السوسيولسانية أن نعاين الجوهر الحواري الذي قامت عليه مسارات الأحداث والشخصيات الروائية التي أصبحت تتكلم بلسانها لتعبر عن أيديولوجيتها الخاصة دون أي فصل بين طبيعة اللغة وأبعادها الفكرية، وهي الفكرة التي سادت وفق المنظور اللساني فترة زمنية طويلة. وعليه تتضمن هذه القراءة إشكالية معرفية تقوم على تتبع المسلك الإبداعي للرواية التي استندت فيه إلى الجوهر الحواري الباختيني خدمة لشعرية لغتها التي تجمع بين طبيعة اللغة الأسلوبية

وخلفيتها الأيديولوجية استنادا في ذلك على ثلاثية لغوية حوارية هي التهجين اللغوي والأسلبة اللغوية والحوارات

2. مدخل منهجي: جوهر القراءة الحوارية:

انفتحت رؤية باختين (Bakhtine) الحوارية على جملة من المرجعيات الفكرية التي كانت حافزا معرفيا استلهم من خلالها نظريته الحوارية التي تقوم على مبدأ فلسفي، يرى أن قيام الوجود يستند إلى الحوار الدائم المستمر، وإذا نظرنا إلى المسلك التاريخي لهذا المنظور النقدي نجد أن الشكل الروائي الحواري الذي تبناه هذا المفكر في أواسط خمسينيات القرن الماضي يعد امتدادا معرفيا لجذور "تصنيفات تاريخية هي الكرنفال والهجاء المينيبي والحوار السقراطي"[01].

تسير الرؤية التنظيرية للجوهر الحواري للخطابات الروائية وفق التصور الباختيني نحو دراسة اللغة الأدبية في صلتها بطابعها الاجتماعي الذي يسمح بارتباط العملية التواصلية بالبنى الاجتماعية المعبرة عن تلك اللغة، فصورة المجتمع تتحقق في النص الروائي الحواري عبر صورة اللغة انسجاما مع تعبير النص الروائي عن «التنوع الاجتماعي للغات» [02].

لا يجب التعامل مع اللغة الروائية وفق رؤية باختين (Bakhtine) باعتبارها ظاهرة لسانية فحسب بل يجب ربط اللغة الروائية بسياقاتها الاجتماعية المحملة بقصديات المتكلمين بها من منطلق أن كل "لغة اجتماعية تعبر عن أيديولوجية متكلميها بلا وساطة" [03]، وهو ما يجعلها خليطا حواريا من اللهجات والنبرات والخطابات التي تعد تشكيلات لغوية ترسم خصوصية الرواية من المنظور الفني.

ما تعاينه الرؤية الحوارية هو الربط بين المقاربة الأسلوبية التي تدرس جمالية اللغة من خلال تتبع مواقع الانزياحات اللغوية بغية "تقصي الكثافة الشعورية التي شحن بها المتكلم خطابه في استعماله الواعي"[04]، وبين الرؤية الإيديولوجية المعبرة عن تلك اللغة وتشكيل تكامل منهجي بينهما من منطلق معرفي مفاده تعذر دراسة الخطاب الأدبي "منفصلا عن أغراضه ومقاصده الخارجية" [05]، وهو التصور النقدي الذي جعل باختين (Bakhtine) يستنبط قواعد وإجراءات نظريته الفكرية لشعرية الرواية من الرؤية الحوارية

التي تجمع بين دراسة «الأدب لذاته وفي ذاته ودراسته من حيث هو سبيل لتشكل الخطاب الاجتماعي عبر اللغة»[06].

يربط النقد الحواري الباختيني اللغة الروائية برؤيتها الاجتماعية، وهو ما ساهم في التركيز على معاينتها نقديا، لأنها الأساس الذي يستمد منه "الخطاب الأدبي غايته ووسائله وصفته الحوارية" [7]، الأمر الذي جعل فهم العالم الروائي وفق المنظور الحواري مرتبط بتحليل مختلف الأصوات السردية المتكلمة في المسار الروائي بالبحث عن " تعددية الأصوات في النص الأدبي"[08] تعبيرا عن تعدد الرؤى الفكرية التي تكشف تنوع الأساليب واللغات واللهجات المتضمنة داخل بنيته النصية للخطاب الروائي،وهو ما يحيل إلى أن طبيعة البناء الفني للرواية وفق المنظور الباختيني تعد بمثابة النسق الحواري الذي يجمع بين "صور اللغات والأساليب وأنماط الوعي التي لا تنفصل عن اللغة " [09].

لقد ساهم تأكيد باختين (Bakhtine) على امتزاج الكلمة بالإيديولوجية في الخطاب الروائي بتجاوز معالجة القضايا اللسانية في النص الأدبي التي يغيب في أثرها «صوت الكاتب ليحل محله صوت الآخرين عبر لغاتهم الاجتماعية»[10]، مثل معاينة البنى اللغوية التي تخرق اللغة الروائية كاللهجات والخطابات والأجناس الأدبية والتي تشير إلى ربط اللغوي بالإيديولوجي.

وهو ما جعل رؤيته المنهجية تشير إلى أن كشف خصوصية الإبداع الروائي وفق المبدأ الحواري يرتبط بالنفاذ إلى المعطى الاجتماعي والأيديولوجي المعبر عن اللغات المتضمنة، فيؤكد على "الوضع المجتمعي باعتباره محددا لبنية اللغة وخصوصية تعدديتها"[11]، وهي الرؤية الفكرية التي جعلت طبيعة قراءته تعاكس المناهج المحايثة التي تدرس الخطاب الروائي بمعزل عن سياقاته الاجتماعية والمرجعية، إذ بنى تصوره النقدي حول شعرية الرواية وخصوصيتها السردية على أساس تحليل تلك العلاقة، أما رؤيته المنهجية فتعاين سمة "تعدد الأصوات باعتبارها المبدأ المسؤول عن أدبية النصوص الروائية" [12] ورسم طبيعتها الفنية ذات البعد الحواري.

تتحقق شعرية رواية (سفاية الموسم) وفق المنظور الباختيني باعتبارها عالما حواريا يتضمن مجموعة من الأصوات المتعددة التي تعبر عن رؤاها الأيديولوجية بكل

حرية، وهو ما يفرض ضرورة التعامل مع" العلاقات الاجتماعية والإيديولوجيات المعبرة عن تلك اللغة" [13]. في مسارات الأحداث الروائية وتحاور الشخصيات دون تجاوز أيديولوجيتها ورؤاها الفكرية.

تحيل هذه الرواية عبر مساراتها السردية إلى وجهات نظر متباينة تحددها أصوات الشخصيات المتكلمة، فلكل شخصية روائية دور سردي ومكانة اجتماعية تمتلك بهما وعيا أيديولوجيا يعبر عنها، فالتنوع الصوتي المتكلم في الرواية يقتضي نقديا "منظومة تفكير وقاموس مصطلحات خاص لأجل كسر النمطية وإظهار الانتماء إلى إيديولوجيات بعينها" [14]، كما أن تعدد الأصوات الروائية المتكلمة في هذا الخطاب السردي يعد مرآة عاكسة للغات الاجتماعية التي تضمرها هذه الرواية والتي «تتعرض للتغيير والتحول لدواعي الاستعمال»[15]، وفق طبيعة التحول الاجتماعي الحاصل.

يساهم هذا المنظور التحليلي في جعل إستراتيجية الإبداع الروائي وفق المبدأ الحواري تقوم بالنفاذ إلى المعطى الاجتماعي والأيديولوجي المعبر عن اللغات المتضمنة داخل المتن الروائي، فيؤكد على "الوضع المجتمعي باعتباره محددا لبنية اللغة وخصوصية تعدديتها" [16]، وهو المسلك التقدي الذي وجد صداه في رواية "سفاية الموسم" التي استثمرت طبيعة الخلق الفني الذي يؤسسه الجوهر الحواري الباختيني ممثلا بشكل خاص في سمة التهجين اللغوي وخاصية الأسلبة ومنه منظومة الحوارات الروائية.

3. التهجين اللغوي:

يعد التهجين اللغوي باعتباره "مزج لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد بشكل قصدي" [17] من الأدوات الفنية المؤسسة للمنظور الحواري الباختيني التي وظفتها الرواية بشكل إبداعي خلاق، عندما نجدها تصوغ سمة تعدد الأصوات المتكلمة إما بلسانها أو بوساطة السارد لينظر إلى الرواية « كتنوع كلامي اجتماعي منظم فنيا وتباين أصوات فردية»[18]، الأمر الذي ساهم إبداعيا في إثراء الاختلافات اللغوية الفردية ضمن المتن السردي لرواية "سفاية الموسم" حيث تسربت إليها خاصية تعدد الأصوات المتكلمة التي حققت طابعها الحواري، فاللغة الروائية وفق الجوهر الحواري جعل الرواية تمتلك قوة خلاقة «حيث يولد حوار الأصوات تلقائيا من حوار اللغات الاجتماعي»[19].

من أدوات التهجين اللغوي التي استثمرتها الرواية حواريا نجد أن التنضيد الروائي الذي أمتلك دوره الحواري باعتباره رافد نقديا تهجينيا يقوم على تعدد "اللغات والأجناس التعبيرية المتخللة ضمن الرواية بهدف جعل لغتها نسقا من اللغات المنظمة تنظيما أدبيا"[20]. فقامت هذه السمة الحوارية على توظيف عدد من المهن والحرف التي جعلت "سفاية الموسم" تعد جنسا تعبيريا تمتزج داخله لغات متعددة وأصوات مختلفة بفضل فاعلية التهجين اللغوي في تأسيس الجوهر الحواري للرواية.

فقول السارد "صفق صالح الوهبة للنادل فريد السينكو طالبا منهم فنجان قهوة"[21]، تهجين لغوي يستحضر من خلاله السارد عمق اللغة الروائية التي يستمد منها وظيفة النادل كمسلك اجتماعي يجعل الخطاب الروائي يمتلك "غايته ووسائله وصفته الحوارية" [22]، التي تجعل الشخصيات الروائية بفضل لغاتها الاجتماعية تساهم في تأسيس تعدد لساني بفضل قدرة الكاتب على توظيف اللغات الأخرى وجعلها تدور في فلك لغته الروائية الهجينة.

في هذا السياق الحواري وفق المنظور الباختيني الذي يكشف تنوع فئات المجتمع تتجه رؤية المبدع صوب معاينة البنيات اللغوية والأيديولوجية لطبقات المجتمع، فيستثمر شخصيات سياسية وإدارية سامية للتعبير عن حوارية الرواية، فقد ظهر"هشام الكعام ... وهو يخطب على الناس، وهو يرأس اجتماعات، وهو يصافح والي الولاية، وهو يستقبل وزراء وشخصيات وطنية"[23]، إذ تحقق الرواية وفق هذا المسلك جوهرها الحواري استفادة مما تقدمه إستراتيجيتها اللغوية من تنوع واختلاف في الفئات الاجتماعية المشكلة للمسار الإبداعي مع ربطها بخلفيتها الأيديولوجية.

إن طبيعة الخلق الفني للرواية وفق المنظور الباختيني هو ما فرض هذا المسلك فقد حققت الرواية تفاعلا لغويا تهجينيا عندما يستحضر السارد مقطعا حواريا يخاطب فيه خليفة السقاط الصحفي جمال الكشاني" - أنت صحفي ولكنك لا تعرف ما يجري في المدينة، لم أقرأ لك شيئا عن لجنة التفتيش في تسيير شؤون البلدية"[24].

من جانب تهجيني آخر تزخر رواية "سفاية الموسم" باللغة الشعبية في تشكيل منظومتها اللغوية القائمة على تعدد الملفوظات. فاستعمال هذه اللغة يعد كسرا للقوانين

الخطية للغة الروائية، وهو ما تجسد في المتن الروائي في مواقع سردية كثيرة، بل إن هذه الخاصية تعتبر أهم دعائم حوارية الرواية، ويدخل في نطاق اللغة الشعبية في الرواية المقاطع الغنائية، الأمثال الشعبية، اللغة العامية والتي تحمل دلالة الارتباط بالموروث الثقافي الجزائري، فيعد تهجين اللغة العامية من الاستراتيجيات الحوارية التي قامت عليها الرواية والتي شكلت منحى فنيا في علاقة لغة الرواية بتشكيلات اللغة العامية من خلال "التنشيط الإبداعي لهذه السجلات اللغوية وفاعليتها الجمالية" [25]، فلا يمكن أن تنفصل حواريا عن الخلفيات المرجعية المعبرة عن تفاصيل الواقع الاجتماعي بفئاته وطبقاته الاجتماعية.

4. شعرية الأسلبة اللغوية:

تعد الأسلبة اللغوية مسلكا إبداعيا استثمرته الرواية بشكل فني خلاق لتحقيق جوهرها الإبداعي وفق المنظور الباختيني، فهي مدخل سردي لغوي يشير إلى وجود وعيين لغويين مفردين «وعي من يشخص (وعي المؤسلب)، ووعي من هو موضوع التشخيص»[26]، فالأسلبة وفق هذه الرؤية النقدية تعبر عن سمة تداخل الأجناس الأدبية داخل الخطاب الروائي، وهي إستراتيجية حوارية لها دورها السردي في رواية "سفاية الموسم" فتحمل الأجناس المتضمنة لغتها الخاصة إلى لغة الرواية. فتساهم "الأجناس الداخلة في الرواية في تكريس تنوعها الكلامي وتنظيمه" .[27]

لقد استثمرت الرواية البعد التناصي لتستحضر فنيا آليات لغوية لأجناس أدبية متضمنة خدمة لخصوصية الرواية متعددة الأصوات المتكلمة استنادا إلى فكرة أن "تطور الفن الروائي وفق باختين مرتبط بتعدد الصوت الأيديولوجي ضمنها"[28]. ستحضر الرواية بشكل فني خلاق الوظيفة الأيديولوجية التي تضمنه مقال منشور بجريدة الربوة يشير إلى الحركات الاحتجاجية التي عرفتها المدينة بعد توزيع الساكنات لغير مستحقيها عندما يشير السارد من هذا المقال الذي كتبه جمال الكشاني بأن "الولاية نصبت لجنة للتحقيق في قائمة المستفيدين من السكنات، كما ذكر أن القائمة تظم أسماء عزباوات وأموات ومهاجرين بفرنسا"[29]، وهي رؤية تعبر عن الاختلالات الحاصلة في المنظومة المجتمعية التي يقصى فيها أصحاب الحقوق ويستفيد فيها الانتهازيون واللصوص، لكن الرواية جعلت

الشخصيات المقهورة تعبر عن رأيها وتنتقد التوجه الذي تسير به السلطات المسؤولة مكرسة فكرة الصراع على مستوياته المختلفة سياسية وثقافية وأيديولوجية خدمة لفكرة لقضايا الأمة.

استثمرت الرواية أنماط خطابية ونصية في صوغها الأسلوبي للغات المتعددة داخلها تأسيسا لأيديولوجية الأدب " كخطاب ثنائي ذو تكوين يستند إلى كلمة الغير" [30] انسجاما مع المنظور النقدي الذي ينظر إلى اللغة في الرواية باعتبارها "الوجه الملموس للصراعات الأيديولوجية في الواقع"[31] نجد الروائي محمد مفلاح يستثمر خطاب الآخرين بلغاتهم فتستثمر شخصية نسيمة الرواسي الغناء الشعبي عندما تنقل لنا أغنية شعبية للتعبير عن شعورها العاطفي والفكري.

"أنا بحر علي وأنتيا لا *** ما نديرك بعيدة ما نبكي عليك

لا زهر لا ميمون *** نعل بو الزين

د يدي ...ها دي دي" [32]

ـ المسلك الفني للرواية جعلها تستثمر أسلبة اللغات كمسلك فني جعلها تحقق الجوهر الحواري القائم عن تصارع الأصوات الأيديولوجية" [33].

ـ فرضت طبيعة الخلق الفني الحواري استثمار آلية أسلبة الخطابات التي تعد بمثابة المكون الاستشهادي الذي يساهم في "دعم الإيهام المرجعي وتنشيط اللغة الجماعية والفردية ".[34]

5. الحوار الروائي:

1.5 الحوارات الخالصة:

تخترق الحوارات الخالصة المسار اللغوي لرواية "سفاية الموسم" لتؤسس لتنويعات لغوية حوارية تستثمر الطروحات النظرية لباختين (Bakhtine) وتكشف " عن وجهات نظر مختلفة ورؤى متباينة" [35] فتبرز هذه الحوارات كقيمة دلالية تراهن على أبعاد أيديولوجية للشخصيات المتكلمة، فالتوظيف الفني للحوارات الخالصة في أغلب

مسارات الرواية أدى إلى كشف ملامح تعدد الأصوات اللغوية باعتبارها المبدأ المسؤول عن أدبية النصوص الروائية وفق المنظور الباختيني.

لقد فرض هذا المسلك الحواري نفسه على مسار الإبداع الروائي لرواية "سفاية الموسم" بفضل فاعليتها السردية في تشكيل حوارية النماذج اللسانية المتكلمة التي تكشف عن رؤى أيديولوجية مختلفة لأفراد المجتمع استغلالا للتصور الباختيني الذي "يجمع بين التعدد الصوتي والإضاءة الأيديولوجية اللازمة" [36]، فتصور الرواية الصراع الأيديولوجي بين شخصيات الرواية استثمارا للجوهر الحواري الذي تأسس تعليقا على عدم الرضا بنتائج توزيع السكنات في الولاية عندما التف عدد من سكان المدينة حول شاب يصفه السارد بأنه أنيق كان شرح لهم سبب هذا الاحتجاج ليقول لهم رجل قصير القامة ".

ـ اختلط الحابل بالنابل. كيف يحتج من له فيلا مريحة. ولو كانت باسم والده.؟

وقال كهل يلف رأسه بعمامة توتية صفراء أنيقة:

ـ بعضهم ليسوا من المدينة. قدموا من البوادي، واستقروا في الواد الجاف، ثم أضاف بحذق.

ـ ما مصير أولاد البلاد الذين همشهم الدخلاء والانتهازيون؟

وقال رجل يعتمر قبعة بيضاء صينية الصنع

ـ حقا إنهم من سكان الحي القصديري، ولكن بعضهم من أبناء المدينة الذين قست عليهم الحياة.

وقال رجل أصلع ذو شوارب غزيرة، مدعما صاحب العمامة الصفراء

ـ لا يا أخي هؤلاء جاءوا من الأرياف وسكنوا الوادي الجاف، واليوم هم يريدون الاستفادة من سكنات مريحة قبل أصلاء المدينة.

وقال شاب يتأبد كومة جرائد

ـ البلدية مسؤولة عل كل شخص يسكن في ترابها. دعونا من هذا التمييز المقيت."[37]

يستعين هذا المتن الروائي لمحمد مفلاح بفاعلية المكون الحواري في كشف شعرية الخطاب الروائي وفق المنظور الباختيني الذي يتخذ من وضع التعدد والتباين استراتيجية فنية بانية، انسجاما مع التصور النقدي الذي يرفض الفصل بين التشكيل اللساني ومحتواه الأيديولوجي لتعبر عن فاعليته الفنية في إنتاج لغة روائية لا تعانق اللغة الأحادية وإنما وقع تشابك وتداخل صوتي جعل الرواية تستثمر لغات متنوعة وتنفتح على عوالم تاريخية واجتماعية وسياسية أثرت التعدد الصوتي. الذي رسم جوهرها الحواري للرواية القائم على فكرة " التعدد الكلامي الذي يعد قاعدة الأسلوب الروائي " [38].

تتحقق شعرية رواية "سفاية الموسم" باعتبارها عالم حواريا يتضمن مجموعة من الأصوات المتعددة التي تعبر عن رؤاها الأيديولوجية بكل حرية. وهو ما يتحقق في المنظور الحواري الخارجي، عندما يخاطب صاحب المقهى جلول المنصور خليفة السقاط

" ـ أنظر ماذا فعل المخربون

قال خليفة السقاط

ـ المخربون الحقيقيون هم هشام الكعام وأمثاله

وأشار جلول المنصور....

ـ لما كل هذا الظلم؟

واستطرد مقطبا:

ـ أنا لا علاقة لي بالسياسة ولست مسؤولا عن توزيع السكن. فلما هذا الاعتداء على المقهى ؟ "[39]

ـ تساهم الحوارات الخالصة في تأسيس الجوهر الحواري للرواية، لأن طبيعة الخلق الفني لها يوجد في "خضم تعددية الأصوات وتعددية اللغات"[40] استفادة من الدور السردي الحواري في جعل كل إيديولوجية تظهر في مسارات الخطاب السردي بشكل مباشر من قبل الشخصيات الروائية انسجاما مع المنظور النقدي الذي يرى أن "أسلوب الرواية هو حواريتها" [41]، فالحوارات الخالصة في "سفاية الموسم" أضفت على السرد طابعا

مشهديا حيا يشع في "الخطاب روحا حوارية غنية بالازدواج القيمي وبتصادم الذهنيات وأنماط الثقافات"[42]، وهو التوظيف الفني الذي يشير إلى سماح هذا التنوع الفكري للقارئ بالاندماج المباشر في سياق النص الروائي وأبعاد الأيديولوجية بأصوات شخصياته.

2.5 الحوار الداخلي:

تستند رواية "سفاية الموسم" على خاصية الحوار الداخلي كمسلك فني مؤسس للجوهر الباختيني لأنه يقوم على "وجهتي نظر لا تنصهران وإنما تتجاوران حواريا"[43]، فهو تقنية سردية حوارية تجعل من "الجوهر الفني للمضمون الروائي يقوم على وعي شخصياتها" [44]، وتسمح إبداعيا بفهم مدلول كلام الشخصية الداخلي من خلال فعل التذكر "حيث تتوسل الشخصيات تقنيات رواية تيار الوعي"[45]، فتدفق خصائص تيار الوعي وانسياب عملية التذكر واستجلاء عوالم الباطن ساهم في تبلور ملامح الرواية الحوارية، فقد تضمنت الرواية عبر مجموعة من الحوارات الداخلية التي رسمت إستراتيجيتها شخصياتها الأيديولوجية تعبيرا عن اختلاف وجهات نظرها، مثل ما نجد ملامحه في تصوير مشاعر شخصية نسيمة الرواسي تجاه شخصية خليفة السقاط الذي هجرها دون سبب وجيه فقد "أحست برغبة جامحة في البوح بهمومها، وازدادت أعصابها قلقا، تمنت لو تلتقي بخليفة السقاط لتبصق على وجهه المنتفخ، بلغت سن الخامسة والثلاثين ولم تتزوج، وهي لا تعلم إلى حد الساعة سبب عزوفه عن الزواج، ولماذا هجرها" [46]، فتصور الرواية شخصية تسلل إليها الانكسار النفسي والقلق والغضب سبب علاقتها غير السليمة مع خليفة السقاط، فيصف هنا الرواية صورة عن الصراعات النفسية المتولدة عن اختلاف الأصوات الاجتماعية التي تكشف عن التناقضات الداخلية للمجتمع استثمارا للغة كل شخصية.

إن استثمار الرواية للجوهر الحواري الداخلي وفق المنظور الباختيني الذي يراها لا يمكن أن «توجد إلا في خضم تعددية الأصوات»[47] جعل شخصية نسيمة الرواسي تعبر عن مشاعرها المناقضة المعبرة عن قلقها النفسي من هجران خليفة السقاط لها، فقد "فكرت في كتابة بعض خواطرها المحمومة. لقد عجزت اليوم عن كتابة جملة واحدة عن حياتها القلقة في الكراسة الزرقاء، ثم اكتشفت أن الكتابة صعبة وهي غير قادرة على

التعبير عن نفسها" [48]، لكن طبيعة السرد الذي تبناه الروائي صور تغيرا في مسار هذه الشخصية الروائية التي تغيرت التها النفسية لتمتلك بعض السعادة بعد انتقالها إلى مدينة وهران وتعرفها على شخصية شكيب.

كما ساهم الحوار الداخلي في تأسيس مسلك من مسالك حوارية الرواية وجعل الشخصيات تتكلم بلسانها عن شعورها العاطفي ومرجعيتها الأيديولوجية، لأن المبدأ الحواري يحقق سمة تعدد الأصوات والتنوع الكلامي اللذان ينسجمان فنيا "ويدخلان الرواية وينتظمان فيها في نظام فني متماسك"[49].

6. خاتمة:

إن طبيعة البناء الفني للرواية وفق المنظور الباختيني جعل رواية "سفاية الموسم" تعد بمثابة النسق الحواري الذي جمع بين صور اللغات والأساليب وأنماط الوعي وفق منظور باختين وهو ما جعل الرواية تستحضر منظومة لغوية حوارية قائمة على اللغة الشعبية والنص الشعري والأنواع الأدبي والمهن والحوار اللغوي بنوعيه وهي دلالة على ربط الخطاب الروائي بخصوصية الواقع بمختلف فئاته الاجتماعية.

لقد استثمر الروائي خطاب شخصياته ولغاتهم ليضمن لروايته جوهرها الحواري الذي تسنده التعددية اللسانية الحاصلة بينها وتكرسها تناقضات الشخصيات الروائية التي تعد دعامة هذا التعدد اللساني، فقد تنوعت مختلف التشكيلات اللغوية لرواية" سفاية الموسم" وفق المنظور الحواري الباختيني لتؤسس لتفاعل بين مختلف السياقات اللغوية ووجهات النظر الأيديولوجية، وأنساق التعبير ومختلف اللهجات الاجتماعية والأجناس الأدبية والتي تعد بمثابة الأنماط الخطابية التي تسرد به أحداث الرواية

إن الخاصية الفنية التي ميزت رواية "سفاية الموسم" وفق المنظور الحواري هي استفادتها من استراتيجية التعدد اللغوي التي جعلت السارد لا «يستأصل نوايا الآخرين من لغة أعماله متعددة الأصوات، ولا يحطم المنظورات والعوالم الصغيرة الاجتماعية-الإيديولوجية التي تكشف عن نفسها فيما وراء هذا التعدد الصوتي، إنه يدخلها إلى عمله،

إنه يستخدم خطابات مأهولة مسبقا بنوايا الآخرين الاجتماعية، و يرغمها على خدمة نواياه الجديدة »[50].

7. الهوامش:

1. باسم صالح حميد، النزعة الحوارية في الرواية، مقال بمجلة علامات في النقد السعودية، ج51، م 1، 2004، ص 599.
2. ميخائيل باختين،الخطاب الروائي ترمحمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1997، ص11.
3. باسم صالح حميد، النزعة الحوارية في الرواية (م.س)، ص 603.
4. حسين، بوحسون: الأسلوبية والنص الأدبي، مجلة الموقف الأدبي .دمشق . سوريا، ع 378، 2002 ، ص 1.
5. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، لبنان، 2002، ص 583.
6. بسمة عروس، الخطاب الأدبي والمفاهيم الأساسية في تحليل الخطاب عند باختين، تونس، منشورات، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، 2008، ص 92.
7. تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين (المبدأ الحواري)، تر، فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، لبنان، 1996، ص 130.
8. حميد لحمداني، النقد الروائي والأيديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، ط01، لبنان، المغرب 1990، ص81.
9. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، م.س، ص 78.
10. صدوق نور الدين، العروي وحداثة الرواية (قراءة في نصوص العروي الروائية)، المركز الثقافي العربي، ط1، لبنان، المغرب، 1994، ص 89.
11. ميخائيل باختين، الماركسية وفلسفة اللغة، ترمحمد البكري ويمنى العيد، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب،1986، ص 116.
12. بسمة عروس، الخطاب الأدبي والمفاهيم الأساسية في تحليل الخطاب عند باختين (م.س)، ص 121.
13. حميد الحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، (م.س)، ص 74.
14. تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين المبدأ الحواري، (م.س)، ص 16.
15. عبد الله إبراهيم: السردية العربية الحديثة (تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، المركز الثقافي العربي)، ط1، لبنان، المغرب، 2003، ص 92.
16. ميخائيل باختين،الماركسية وفلسفة اللغة، ص 116.
17. المرجع نفسه، ص 28.
18. ميكائيل باختين، الكلمة في الرواية، تريوسف الحلاق، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1988، ص11.
19. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي (م س)، ص49.

20. المرجع نفسه، ص 30.
21. محمد مفلاح، سفاية الموسم (الدروب المتقاطعة)، دار الكتب، 2013، ص 31.
22. تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين (المبدأ الحواري)، (م.س)، ص 130.
23. الرواية، ص 35.
24. الرواية، ص 46.
25. عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية (تحولات اللغة والخطاب)، شركة النشر والتوزيع المدارس، المغرب، 2000، ص89.
26. ميخائيل باختين،الخطاب الروائي، (م.س)، ص 30.
27. ميكائيل باختين، الكلمة في الرواية، ص 96 ـ 97.
28. حميد لحمداني، النقد الروائي والأيديولوجيا، (م.س)، ص 79.
29. الرواية، ص21.
30. عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية (تحولات اللغة والخطاب)، (م.س)، ص 45.
31. حميد لحمداني، النقد الروائي والأيديولوجيا، (م.س)، ص 75.
32. الرواية، ص17.
33. حميد لحمداني، النقد الروائي والأيديولوجيا، (م.س)، ص81.
34. عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية، (تحولات اللغة والخطاب)، ص 90.
35. ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، تر ناصف التكريتي، دار توبقال للنشر ودار الشؤون الثقافية العامة، ط1، المغرب والعراق، 1986، ص 242.
36. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، (م.س)، ص 102.
37. الرواية، ص 09.
38. ميكائيل باختين، الكلمة في الرواية، (م.س)، ص 75.
39. الرواية، ص 10.
40. حميد لحمداني، النقد الروائي والأيديولوجيا، (م.س)، ص 80.
41. المرجع نفسه، ص 80.
42. عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية (تحولات اللغة والخطاب)، (م.س)، ص 45.
43. المرجع نفسه، ص 108.
44. روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة. تر محمود الربيعي. دار المعارف، مصر، 1984، ص 16.
45. عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية (تحولات اللغة والخطاب)، ص38 ـ 39.
46. الرواية، ص 17.
47. حميد لحمداني، النقد الروائي والايدولوجيا، (م.س)، ص 80.

48. الرواية، ص 37.

49. حميد لحمداني، النقد الروائي والايدولوجيا، (م.س)، ص61.

50. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، (م س)، ص60.